اللغة العربية والتوظيف الشعري
لأوجه التفرد عن اللغات العالمية

إعداد

الدكتورة/ سماح أمين عويس عبد الوهاب

مدرس الأدب والنقد

فى كلية الدراسات الإسلامية والعربية بسوهاج

اللغة العربية والتوظيف الشعري لأوجه التفرد عن اللغات العالمية

سماح أمين عويس عبد الوهاب

القسم : الأدب والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، جامعة الأزهر فرع سوهاج، مصر.

البريد الإليكتروني: Samahewis.79@azhar.edu.eg

الملخّص:

يأتي هذا البحث ليؤكد على مكانة اللغة العربية وهويتها وتفردها، ويبدي أوجه المفارقة بينها وبين اللغات العالمية، وكذلك ليؤكد أن المبدعين هم القادرون على تجديد الفصحى، ليظل موضوعها جديدًا ما بقيت العربية أداة نطقنا، وسبيل عبادتنا كونها لغة القرآن الكريم .. الإعجاز والبيان. وترجع فكرة هذا البحث لرغبة ذاتية، وإيمان بأن اللغة العربية أكثر ما تبدو عزتها في إبداعها، أما منهجه – فبحسب موضوعه – يأتي في مقدمة وخاتمة بينهما ستة مباحث أعرض فيها عددًا من النصوص الشعرية التي تتغيَّا عرض هوية اللغة العربية، ومكانتها، وأوجه المفارقة والتفرد بينها وبين اللغات العالمية من فوارق صوتية ومعجمية وبنيوية ونحوية، وميزات بلاغية وموسيقية، تؤكد ريادة العربية وتفردها، مع تحليل هذه النصوص من حيث الفن، وبيان جمالياتها وأصحابها، ورصد أساليبهم، فضلًا عن عمل الهامش، وخدمات النصوص.

الكلمات المفتاحيَّة: اللغة العربية، التوظيف، الشعري، التفرد.

The Arabic language and the poetic representation of the uniqueness of world languages

Samah Amin Aweys Abdel Wahab
Department of Literature and Criticism, College of Islamic and Arabic Studies, Al-Azhar University, Sohag Branch, Egypt.
Email: Samahewis.79@azhar.edu.eg

Abstract:

This research comes to confirm the status, identity and uniqueness of the Arabic language, and to show the paradoxes between it and international languages, as well as to confirm that the creators are able to renew the classical Arabic, so that its topic remains new as long as Arabic remains a tool for our pronunciation, and the way of worshiping us as the language of the Noble Qur'an .. miracles and revelations. The idea of this research is due to a self-desire, and a belief that the Arabic language is what appears most cherished in its creativity, and as for its method - according to its subject - it comes in an introduction and conclusion between them six topics in which I present a number of poetic texts that change the presentation of the identity of the Arabic language, its position, and aspects of paradox and uniqueness between them And between global languages in terms of phonological, lexical, structural and grammatical differences, and rhetorical and musical features, confirming the leadership of Arabic and its uniqueness, while analyzing these texts in terms of art, stating their aesthetics and owners, monitoring their methods, as well as the work of the margin, and text services.

Keywords: Arabic Language, Employment, Poetic, Uniqueness.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير من نطق بالضاد، وعلى آله وصحبه الأمجاد، وبعد:

يأتي هذا البحث تأكيدًا على مكانة اللغة العربية وأوجه تفردها عن أخواتها الساميات وعن غيرها من اللغات ليؤكد أن المبدعين هم القادرون على تجديد الفصحى، ليظل موضوعها جديدًا ما بقيت سبيل عبادتنا، وأداة نطقنا، ولغة القرآن الكريم، لغة الإعجاز والبيان.

وترجع فكرة هذا البحث لرغبة ذاتية وإيمان بأن اللغة العربية أكثر ما تبدو عزتها في إبداعها، وبخاصة الشعر، فنها الأول، ومرآة رقيها وفخامتها، وسجل آلام الأمة وآمالها، وصورة ضعفها وقوتها، وأهم مباعث نهضتها.

وبحسب موضوع البحث وعنوانه: -"اللغة العربية والتوظيف الشعري لأوجه التفرد عن اللغات العالمية"- فإن خطته تبدأ بهذه المقدمة يعقبها ستة مباحث:

المبحث الأول: يُعنى بالتوظيف الشعري للفوارق الصوتية.

المبحث الثاني: يدرس التوظيف الشعري للفوارق المعجمية.

المبحث الثالث: يعرض للتوظيف الشعري للفوارق النحوية.

المبحث الرابع: وفيه التوظيف الشعري للفوارق البنيوية الصرفية.

المبحث الخامس: مَعْنِيٌّ بدراسة التوظيف الشعري للميزات البلاغية.

المبحث السادس: لدراسة التوظيف الشعري للميزات الموسيقية.

وتأتي الدراسة في المباحث الستة بمنهج تكاملي بين التحليل والفن، حيث تحليل النصوص الشعرية التي تعرض لأوجه تفرد العربية، وبيان الجوانب الفنية فيها، مع التعريف بالشعراء وجماليات أساليبهم، ثم أقَفِّي هذه المباحث بخاتمة لأهم نتائج الدراسة.

مع خالص دعائي بأن يصل البحث إلى مبتغاه.

وأن يقول –حسبما أحسبه– كلمة في موضوعه،

والله عز وجل الحسيب والمستعان.

الباحثة

المبحث الأول
التوظيف الشعري.. للفوارق الصوتية

تعد اللغة العربية أكثر اللغات تمتعًا بالأصوات السامية، ذلك أنها ضمت جميع أصوات اللغات الأخرى، ثم زادت عليها أصواتًا تفردت بها لا توجد في غيرها، أولها: حرف "الضاد"، ولشدة تفردها به يكنى به عنها، فيقال: لغة "الضاد"، ويقال عن أبناء العربية: الناطقين بالضاد، ويلحق به حرف "الظاء"، فإنه ناتج عن الفصحى وأحد خواصها، وغير موجود سوى في العربية. (١)

وكذلك من الميزات الصوتية للغة العربية أن بعض حروفها تشي بدلالة الكلمات التي ترد فيها، كدلالة حرف السين على المعاني اللطيفة الهادئة كالحس، والتنفس، والهمس مثلًا، وحرف الميم على الشدة والقطع كالحسم والجزم والحتم.(٢)

وقد رصد الشعر بشكل إجمالي هذه الميزات الصوتية وغيرها وجوه تفرد ومغايرة للغة العربية عن غيرها من اللغات العالمية، يقول الشاعر "علي الجارم"(٣) في قصيدته "اللغة العربية":(٤)

وأَحْضُرُ الشعراء اللُّسْنَ قد وَقَفُوا ... وللبيان فِعَالُ الصَّارمِ الذَّرِبِ

١- ينظر:"التطور النحوي للغة العربية" – برجشتراسر– ترجمة: د/ رمضان عبد التواب – ص١٨ – ط مكتبة الخانجي"القاهرة"– الثانية ١٩٩٤م.

٢- "أم اللغات دراسة في خصائص اللغة العربية والنهوض بها" – سعيد أحمد البيومي– ص٤٢ – ط كتب عربية للطبع والنشر – الأولى ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٢م.

٣- علي بن صالح عبد الفتاح الجارم: ولد في رشيد ١٩٨٨م، وتعلم في القاهرة وانجلترا، صار وكيلًا لدار العلوم، ثم عميدًا لها، له شعر كثير أهمه ديوان باسمه، وتوفي يرحمه الله ١٩٤٩م.["معجم تراجم الشعراء الكبير– د/ يحي مراد – ١/ ٥٤٠– ط دار الحديث – القاهرة– ٢٠٠٦م].

٤- "ديوان علي الجارم" – ص ٣٢٨ – ط دار الشروق "القاهرة"–الأولى ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م، والأبيات من بحر البسيط.

أبو بصـــيرٍ لـــه نبـــرٌ لـــو اتُّخِـــذَتْ منه الســـهامُ لكانـــتْ أســـهُمَ النُّـــوَبِ
إذا رماهـــا كمـــا يختـــارُ قافيـــةً دارت مع الفَلَكِ الـــدَّوارِ فـــي قُطُـــب

إلى أن يقول مناديًا اللغة العربية: (١)

ياشيخةَ الضـــادِ والـــذكرى مخلـــدةُ هنـــا يؤسَّـــسُ مـــاتَبنونَ للعَقِـــبِ

في الأبيات ملمحان للتفرد الصوتي أولهما يتمثل في مديح الشـــاعر للغة العربية باستدعاء تراثي لشاعرها المعروف بجمال الصوت "أبو بصير الأعشى" لأنه كان يتغنى بالشعر(٢)، واستلهام شخصية الأعشى دون غيـــره هو ما يؤدي رمزية التفرد الصوتي للغة العربية.

والملمح الثاني: هو نداء اللغة العربية "ياشـــيخة الضـــاد" وهـــو الحرف والصوت الذي تتفرد به عن غيرها من اللغات، أما أدوات الشـــاعر الفنية في الأبيات فأولها استلهام التراث المتمثل فـــي شخصـــية الأعشـــى ولاشك أن أفاد وضوح الصورة وجمالها، ثم النـــداء وقـــد أفـــاد مشـــاركة الإنشاء للخبر في أداء الصورة وبيان حب الشاعر لمناداه ووصله ودلالـــة البعد في ياء النداء وما تدل عليه من إرادة الشاعر لأن يسمع نداءه القريب والبعيد.

١- "ديوان علي الجارم" – ص ٣٢٨.

٢- ينظر:"تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)" –د/ شوقي ضيف– ص ٣٦٤ – ط دار المعارف–القاهرة ٢٠٠٠م.

وكذلك من تصوير الشعر للتفرد الصوتي للغة العربية ماجاء في قصيدة "معجزة الفصيح" للشاعر "رمضان عبد الله"[١]، قوله: [٢]

والضادُ معجزةُ الفصيحِ محمد ... ما مثلَهُ في العالمينَ لسانُ؟
طاء وظاء من أصول فخامةٍ ... عين الرضا تسمو بها الأوطانُ

إلى أن يختم القصيدة بقوله: [٣]

ستظل تعزفُ لحنَكِ الأزمانُ ... ما مثل ضادك في اللغاتِ حصان!

لا يذكر تفرد اللغة العربية عن غيرها من اللغات إلا ويذكر حرف "الضاد" لعدم وجوده في لسان الآخرين، وإلى هذا يشير الشاعر في بيته الأول ثم يجمع- في البيت الثاني- "الطاء والظاء" وهما حرفا فخامة وجهر وصفير، وصفات تليق بوصف اللغة العربية، ويؤكد الشاعر هذا الوصف بتكراره في ختام قصيدته حين يرى صوت حرف "الضاد" لحنًا تظل اللغة الفصحى تتفرد بعزفه على مر الزمن، أما تكرار الوصف فلأنه الحقيقة الباقية التي يريد أن ينبه المتلقي لها.

وفي قصيدة أخرى له بعنوان "بغية البلغاء" يصرح الشاعر بهذا

١- رمضان عبدالله إبراهيم: من مواليد سوهاج عام ١٩٦٩م، تخرج في كلية الآداب عام ١٩٩١م، عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية واتحاد كتاب مصر، من دواوينه "اقبليني حارسًا" و"تتفتح أحلام الفجر" "ولا تركعي".[ينظر: "ديوان لا تركعي"- ص٧٦- ط دار الأدهم االطباعة والتوزيع ٢٠١٥م].

٢- المرجع السابق- ص٣٥، والبيتان من بحر الكامل.

٣- المرجع نفسه- ص٣٥.

التفرد الصوتي للفصحى، يقول: [١]

يافتنةَ الأصـــواتِ يـــا عـــودَ الأنـــا ... قة، وزِّعـــي لحـــن الضِّـــيا نِبراســـي
وتبختري في روضة الضـــادِ التـــي ... حَمَتِ الفصاحةَ من خَنَـــا الوســـواسِ

فاللغة العربية في رؤية الشاعر ليست فقط منفردة بصوت الضـــاد، وإنما هي فتنة الأصوات بسحر أصوات حروفها لا سيما حرف الضاد الذي يراه الشاعر روضة وجنة وحماية لهوية اللغة العربية وعنوانًا لتفردها.

وهي الحقيقة التي يلتقي معه في التعبير عنها وتوظيفها الشـــاعر "جميل عبد الرحمن"[٢] حين رأى التفرد الصوتي للغة العربيـــة كـــذلك فـــي حرف الضاد، يقول بلسانها: [٣]

أمُّ اللغـــات أنـــا فهـــل مـــن منكـــرٍ ... شمســـي ســـوى واهٍ مـــن العميـــانِ
إني أنـــا الضـــادُ التـــي لا يرتـــوي ... إلا بنبعـــي مَـــنْ لـــه عينـــانِ

١-"في محراب لغة الضاد" – مجموعة شعرية مشتركة- ص٢٩- ط مفكرون الدولية للنشر والتوزيع- الأولى ١٤٤١ه، والبيتان من بحر الكامل.

٢- جميل محمود عبد الرحمن: ولد بمدينة سوهاج عام ١٩٤٨م، حصل على بكالوريوس ودبلوم الدراسات العليا من كلية التجارة، له تسعة دواوين مطبوعة منها "على شواطئ المجهول" و"عناقيد من الجمر"، نال جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٩٥م.[ينظر: "معجم البابطين لشعراء العرب المعاصرين"- ٦/ ٢١٢-ط دار الفكر العربي- الثالثة – دون تاريخ].

٣- "الأعمال الكاملة" -جميل عبد الرحمن- ص١٥٩- ط الهيئة العامة لقصور الثقافة- سبتمبر ٢٠١٤م، والأبيات من بحر الكامل.

ثم هو يلتقي كذلك مع سابقه في أن يختم قصيدته بتأكيد هذه الحقيقة في ذهن متلقيه، يقول: [١]

وإذا ملكتمْ سرَّ نطقي سالمًا فالمجدُ مخبوءٌ وتحتَ لساني

يرى الشاعر اللغة العربية أمَّ اللغات ويرى تفردها بصوت الضاد حقيقة في وضوح الشمس المشرقة لا ينكرها كل ذي عينين، ولا شك فيما أفادته صورة المجاز بفن "تراسل الحواس" من كمال المعنى ووضوح الصورة، حيث أسند الشاعر فعل حاسة السمع وأداتها الأذن –التي نسمع بها صوت حرف الضاد– إلى حاسة البصر وأداتها العين، وهو تصرف مجازي يُعرف لدى البلاغيين باسم "تراسل الحواس"[٢].

وهو الفن نفسه الذي اتكأ عليه الشاعر السوري الدكتور "عثمان مكانسي"[٣] للتعبير عن التفرد الصوتي للفصحى بصوت الضاد، يقول في

١–المرجع السابق– ص١٥٩.

٢–"وصف مدركات كل حاسة من الحواس بصفات مدركات الحاسة الأخرى، فتعطي المسموعات ألوانا، وتصير المشمومات أنغامًا، وتصبح المرئيات عاطرة...".[ينظر: "النقد الأدبي الحديث"– د/ محمد غنيمي هلال– ص٣٩٥– ط نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠٤م]

٣– د/ عثمان قدري مكانسي: أديب سوري معاصر، ولد في حلب لأم شاعرة، ودرس في جامعة حلب وتخرج من كلية "اللغات"، ونال درجة المجستير والدكتوراة في الأدب العثماني، له ديوان شعر وأكثر من خمسة وعشرين مقالة نشرت في موقع أدباء الشام.[ينظر:شبكة المعلومات الدولية(الانترنت)، موقع "أدباء الشام" [ww.adabsham.net:

قصيدته "لغة الضاد":(١)

إن كانت الحلى قد صيغت بعسجـــــــــدها فهيَّجـــت بـــوميضِ المـــالِ دنيانـــا

فإن أسرارَ آي الضاد مـــن شـــرفٍ قد تيَّمت قبـــل أهـــلِ العـــينِ عميانـــا

فبطريق المجاز وفن "تراسل الحواس" يسند الشاعر فعـــل حاســـة السمع بالأذن إلى حاسة البصر بالعين، ليُتَيَّمَ بلغـــة الضـــاد العميـــان قبـــل المبصرين، وهو الفن الذي تجلت به الصـــورة وأفادهـــا رواءً ووضـــوحًا وجمالًا فوق الجمال، ولعل معنى البيت وألفاظه ومعناه المجـــازي بتراســـل الحواس يلفت النظر إلى تناص بعيد بينه وبين "بشار" في قوله السائر: (٢)

ياقوم أذني لـــبعضِ الحـــي عاشـــقة والأذنُ تعشـــقُ قبـــل العـــينِ أحيانًـــا

فبشار يصرح بإسناد فعل حاسة البصر للأذن، وربما يلمـــح كـــذلك لهذا التناص اشتراك القصيدتين كذلك في الوزن والقافية.

والحق إن قارئ التصوير الشعري للميزات الصوتية للغـــة العربيـــة يلحظ بما لا يدع مجالًا للشك أن أكثر ما يصوره الشعراء في ذلك هو تفـــرد الفصحى بحرف "الضاد"، حتى إنه ربما لم يوجد شاعر كتب عن الفصـــحى ولم يرد هذا المورد وجهًا صوتيًا من وجوه تفرد الفصحى، ويدل لذلك أيضًا

١- [ينظر:شبكة المعلومات الدولية(الانترنت)، موقع "أدباء الشام" :ww.adabsham.net]، والبيتان من بحر البسيط.

٢- "ديوان بشار بن برد"- شرح: محمد الطاهر ابن عاشور، ٤/ ١٩٤- ط مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة ١٣٨٦هـ=١٩٦٦م.

ما جاء لدى الشاعر "هاشم الرفاعي"[١] في قوله يخاطب "يوسف السباعي" لهجومه ضد اللغة العربية ودعوته بتقديم العامية عليها: [٢]

ورميتَ أختَ الضَّـادِ منـكَ بطعنـةٍ كـادت تـدكُّ قويـة أسـوارها

وهكذا تأتي اللغة العربية لدى الشعراء بين أخت لحرف الضاد أو بنت له أو يكنى به عنها فيقال لغة الضاد إذا أُريد اللغة العربية، ولا أدل من ذلك على تفردها بصوته دون سائر اللغات.

١- سيد جامع بن هاشم بن مصطفى الرفاعي: اشتهر باسم جده شيخ الطريقة الرفاعية، وتعلم في الأزهر ثم في دار العلوم، وتوفي قبل أن يتخرج منها، له عدة دواوين أشهرها "نسيم السحر"، "آهات شديدة".[ينظر: "معجم المؤلفين" – عمر رضا كحالة ١٣/ ١٣٢- ط دار بن حزم للطباعة ١٩٩٩م]

٢-"الأعمال الكاملة"- هاشم الرفاعي- ص٣١٧- ط مكتبة الإيمان بالمنصورة- الأولى١٤١٧هـ=١٩٩٦م، والبيت من بحر الكامل.

المبحث الثاني
التوظيف الشعري .. للفوارق المعجمية

بين معاني الترادف والتضاد، والمشترك اللفظي والاشتقاق، وكثرة المفردات والأسماء، وجذور المعاني، وغيرها من الصفات المعجمية الدقيقة تفردت اللغة العربية عن غيرها من اللغات العالمية.

فقد توفر للفصحى من كثرة المفردات ما لم يتوفر لغيرها، وكذلك من تعدد المعاني واشتراكها في اللفظة الواحدة، ودلالة اللفظة الواحدة على معنيين متقابليْن في المعنى ومتضادين، فضلًا عن قدرة اللغة العربية على التوالد وإنتاج الألفاظ والتراكيب بعضها من بعض وإرجاعها إلى أصل واحد مما يندر في بعض هذه الصفات ويستحيل في بعضها وجود نظير له في غير اللغة العربية من اللغات العالمية الأخرى، ولم يكن أبناء العربية فقط هم من رصدوا هذه الفوارق وإنما أيضًا جاءت بشهادة العديد من أبناء غيرها. (١)

وقد رصد الشعر هذه الفوارق وأوجه التفرد المعجمي للغة العربية عن غيرها من اللغات، وصورها إجمالًا حبًا وإعزازًا وإنصافًا وانتصارًا وتجلية للهوية العربية، وقد جاء ذلك واضحًا في قصيدة " اللغة العربية" للشاعر "علي الجارم" ، يقول: (٢)

أنتركُ العربيَّ السَّمحَ منطقُهُ ... إلى دخيلٍ من الألفاظِ مُغتربِ
وفي المعاجم كنزٌ لا نفادَ له ... لمن يميزُ بين الدُّرِّ والسُّخُبِ
كم لفظةٍ جهدتْ مما نُكرِّرُها ... حتى لقد لهثَتْ من شدة التعبِ

١- "أم اللغات دراسة في خصائص اللغة العربية والنهوض بها" – سعيد أحمد البيومي– ص٤٨.

٢- "ديوان علي الجارم"- ص٣٢٨، والأبيات من بحر البسيط.

ولفظةٍ سُجنتْ في جوف مُظْلمةٍ لم تنظر الشمسُ منها عينَ مرتقبِ
كأنَّما تولى القارظانِ بها فلم يؤوبا إلى الدنيا ولم تَؤُبِ
ياشيخةَ الضادِ والذكرى مخلدةٌ هنا يؤَسَّسُ ما تبنون للعَقِبِ

يرمي الشاعر إلى أولئك الذين تولوا كبر الدعوات الآثمة ضد اللغة العربية، ويصفهم بالحمق بحيث لا يستطيعوا تمييز الخبيث من الطيب والقريب من البعيد، ثم هو يخاطب أبناء الفصحى في استفهام ينكر به عليهم أن يتركوا لغة أمتهم ويستبدلوها بغيرها رغم ثراء اللغة وكثرة مفرداتها، وترادفاتها، ثم هو يسجل على أبنائها غفلتهم عن محاسنها.

ويشير الشاعر إلى المفارقة الكبرى، فكثير من ألفاظ اللغة يتكرر كثيرًا إلى حد أن ضاق به الاستعمال، وفي إبداع فني رفيع يصور الشاعر هذه الألفاظ مجهدة منهكة لكثرة الاستعمال، ويصور المعجم اللفظي يضيق عليها، وفي الوقت نفسه تأتي ألفاظ أخرى وقد اندثرت أو تكاد لعدم الاستعمال، ويصورها الشاعر متروكة مهملة ومحبوسة مقيدة كسجين في قعر مظلم لا يرى النور ولا تطلع عليه شمس.

والشاعر بهذه الصورة يستلهم صورة القارظين، "وهما رجلان من بني عنزة خرجا في طلب شجر "القرظ" فلم يرجعا، ويضرب بهما المثل لما يضيع"[1]، ولا شك فيما أفاده التصوير من وضوح صورة الألفاظ المستعملة وكذا صورة الألفاظ المهملة بما يثبت التصوير للشاعر ظاهرة أسلوبية

١- القارظان : هما عامر بن تميم بن يقدم ، والثاني رجل من بني عنزة، خرجا يطلبان "القرظ" فلم يرجعا.[ينظر: "لسان العرب" -ابن منظور المصري-مادة(ق-ر-ظ)- ٧/ ٤٥٤- ط دار المعارف- مصر دون تاريخ].

واضحة من حيث الدرس الفني، وكذلك فيما أفادته الصورة من حضور الترادف وكثرة المفردات فوارق معجمية وأوجه تفرد للغة العربية عن غيرها من اللغات.

وهي المعاني التي صورها الشاعر "رمضان عبد الله" في قصيدته "بغية البلغاء"، يقول: [1]

هذي اللغاتُ تقازمت عندَ اللِّقا ... ما دالُهُم كالضادِ في الأجراسِ
للسيفِ أسماءٌ تُبارزُ غيَّهم ... لليثِ ألْفٌ مثلَما العباسِ
لغةُ المعامعِ، والمجامعُ سورُها ... تحمي البلاغةَ من رذاذِ عُطاسِ
صمدَ الهواةُ وراء حرفكِ، أعلنوا ... أنَّ المجامعَ غايةُ الحراسِ

بدأ الشاعر أبياته يثبت للغة العربية التفرد الصوتي حيث صوت حرف الضاد الذي لا وجود له ولا يؤديه "الدال" في غيره من اللغات، ثم انتقل ليفيض في وصف التفرد المعجمي للغة العربية، حيث الترادف وكثرة الأسماء للجنس الواحد، ويمثِّل الشاعر لذلك بأسماء الأسد وقد بلغت ألفًا ومنها "العباس" وهو أحد هذه الأسماء ومعناه: الذي تفر منه الحيوانات.

ولعل هذه الكثرة في المفردات والترادف هي التي جعلت اللغة كما يصورها الشاعر لغة المعامع التي تتسع للتعبير عن المعارك والخلافات وتستوعب كل الاتجاهات، وكذا لغة المجامع لا سيما اللغوية التي ترصد كل ماله علاقة بنماء اللغة وغناها، وتعمل على حراستها وحل مشكلاتها

١- "في محراب لغة الضاد" – مجموعة شعرية مشتركة– ص٣١، والأبيات من بحر الكامل.

وقضاياها.

ثم يؤكد الشاعر معانيه تلك، واتخاذه تصوير التفرد المعجمي للغة العربية هدفًا ومقصدًا، يقول في ذات القصيدة: [١]

لا تخفضي نغـمَ القـوافي وانتشِـي وتبختـري فـي زينـةِ الأعـراسِ

مـا دامَ معجمـكِ المنـافحُ صـامدًا يحمـي الحـروفَ بدُربـةٍ ومِـراسِ

إلى أن يقول: [٢]

حرفُ البلاغـةِ ضـادنا، أضـدادُنا شـرفٌ بوجـهُ المُرجـفِ النخَّـاسِ

فهو يؤكد أن اتساع اللغة واستيعابها وكثرة مفرادتهـا، وتفردهـا الصوتي ببعض الحروف هو خير حماية لها وأول مدافع عنها، ثـم يقـدم الشاعر عنوانًا آخر لاتساع اللغة وتفردها هـو دلالـة التضـاد والمعـاني المتقابلة للفظة الواحدة وهي ميزة لا وجود لها في لغـة أخـرى، ويؤكـد الشاعر أن كل هذه الميزات وعناوين التفرد هـي شـرف اللغـة العربيـة وحمايتها ضد من يحاول أن يناصبها العداء.

وثمة عنوان آخر للتفرد يقدمه الشاعر "عبد الرحيم الماسخ"[٣] في

١- في محراب لغة الضاد – ص٣٣.

٢- "المرجع السابق"- ص٣٤.

٣- عبد الرحيم أحمد الصغير: من مواليد مدينة المراغة بسوهاج، حصل على العديد من الجوائز منها جائزة صحيفة أخبار الأدب للشعر، وجائزة شعر الطفل، من دواوينه "ظلال الرؤى" و"تجاوز الصدى" و"رفيف السكون".[ينظر : "ديوان تجاوز الصدى"- ص٩٥- ط قصور الثقافة ٢٠١٣م].

قصيدته "لغة في الظلمة قنديل"، يقول: [١]

طلَعَـــتْ فالمولـــدُ مجهـــولُ لغـــةٌ فـــي الظلمـــةِ قنـــديلُ
حملَـــتْ تاريخًـــا مـــا تعِبـــتْ الحِمـــلُ جديـــدٌ وأصـــيلُ
تتعـــانقُ فيـــه بـــلا حـــدٍّ وتـــذوبُ قلـــوبٌ وعقـــولُ
فتفـــيضُ الأرضُ بمختلـــفٍ متفـــقٍ أجدَبُـــهُ نِيـــلُ

فقد بدأ الشاعر أبياته يصور اللغة نورًا وشمسًا تضئ ظلمة أبنائها على مدى الزمن والتاريخ الطويل، وفي إشارة من الشاعر لثراء اللغة وغناها يُذَكِّر باختلاف دلالات ومعاني الكلمات الواحدة فيما يُعرف بالمتفق والمختلف.

وصور الشاعر اتساع اللغة وثراءها وقد انسحب هذا الثراء على الأرض ليغدو أجدب معالمها نيلًا يجري بالماء وينتج الخير العميم، وفي الصورة يبدو واضحًا الطباق والتقابل بين معنى الاتفاق والاختلاف وما أفاده من اتساع الفارق بينهما ومن ثم أفاده من وضوح صورة الثراء اللفظي للغة العربية.

وإلى الترادف أيضًا أشار الشاعر "يوسف أبو القاسم"[٢] ليثبت للغة

١- ديوان تجاوز الصدى ص٥٤، والأبيات من بحر المتدارك.

٢- يوسف عبد اللاه محمد أبو القاسم: ولد بجزيرة شندويل عام ١٩٥٨م، عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية واتحاد كتاب مصر، من دواوينه "دموع الليل" و"أنا الإنسان" و"بوح القصيد". [ينظر: "ديوان بوح القصيد"- ص٣- ط المنار للطبع والتوزيع- الأولى ٢٠١٧م]

العربية تفردها المعجمي في قصيدته "لغة آتيه بها"، يقول: [١]

سل عاذلي كـلَّ اللغـات وقـلْ لنـا مَن مثلها تحـوي فيـوض نظـائر؟

فالشاعر مستفهمًا ومستنكرًا يطلب إلى مخاطبه الذي يكيد للغة العربية ويتمنى زوالها، أن يسأل- ولن يجد- نظيرًا لها من حيث فيض الترادف والألفاظ المتعددة للمعنى الواحد، وهو أحد مظاهر التفرد المعجمي للغة الضاد عن غيرها من اللغات.

وإلى ذات المعنى يشير "خليل مطران"[٢] في قصيدته "عتب اللغة العربية على أهلها"، حيث يقول بلسانها: [٣]

إذا مـا كـان فـي كلمـي صـعابٌ فلاتأخـذ كثيـري بالأقـلِّ

وهـل لغـة قـديمًا أو حـديثًا تعـدُّ بـوفرةِ الحسـناتِ مثلـي؟

فهو يبث في اللغة العربية النبض الإنساني ويصورها تتحدث وتبث شكواها وتفيض في حديث الحزن والألم، كما أنها تتحلى برداء الشجاعة

١- ينظر: "ديوان بوح القصيد ص٣٣ ، والأبيات من بحر الكامل.

٢- خليل بك مطران: "شاعر القطرين" مصر والشام، ولد عام ١٨٧١م في بعلبك لبنان، ودرس الأدب الفرنسي في فرنسا، ونشط في الترجمة إلى العربية، ثم هاجر إلى مصر عام ١٩٠٢م، وظل بها حتى وفاته ١٩٤٩م. [ديوان الخليل- ص٨٩- ط دار مارون عبود- بيروت ١٩٧٧م].

٣-"المختار من شعر الخليل"- د/ محمد عناني- ص٧٤- ط الهيئة المصرية العامة للكتاب- الثالثة ١٩٩٩م، والبيتان من بحر الوافر.

وتعترف بصعوبة بعض كلماتها، لكنها تذكّر أنه من الظلم أن تُنسَى كل محاسنها ولا يُذكر لها سوى هذه الكلمات القليلة، والقليل لا يقاس عليه، والحكم والغلبة لا يكونان للقليل.

وكذلك اعتمد "الترادف" عنوانًا للتفرد المعجمي الشاعر "محمد فاروق"[١] في قصيدته "لغتي"، يقول: [٢]

ألفاظُها ضَمنتْ من جوهر سعةً ... من المعاني وقد راقتْ لصاديها
وكل حرفٍ حوَى سِرًا وما بلغت ... أفهامُنا كنهَها فاللهُ باريها

يرى الشاعر اتساع اللغة العربية وتعدد ألفاظها وترادفاتها هو ما يضمن السعة لمعانيها، والوفاء بأغراض أبنائها، ذلك أن كل حرف في اللغة العربية –بحسب الشاعر– حوى سرًا تعجز أفهامنا عن فهمه، ولا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

وربما يفسر هذا القول للشاعر "محمد فاروق" ما أتى به في هذا المعنى الشاعر"رمضان عبد الله" في قصيدته "معجزة الفصيح" قوله: [٣]

وجهلتُ أسرارَ الحروفِ فقادني ... صوتُ الهدايةِ شمسُه التبيانُ

١– محمد فاروق محمد عثمان: ولد بمحافظة سوهاج عام ١٩٧١م، تخرج في جامعة الأزهر قسم اللغة العربية عام ١٩٩٧م، عضو اتحاد كتاب مصر، من دواوينه: "قلبي وعيناك و"نوح القصيد" و"سيد الكلمات".[ينظر: "ديوان سيد الكلمات"– ص٩٤– ط الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠١٦].

٢– المرجع السابق ص٢٦، والبيتان من بحر البسيط.

٣– "ديوان لا تركعي"– رمضان عبدالله– ص٣٥، والبيتان من بحر الكامل.

عُلِّمْــتُ أســماءَ الحيــاةِ مثــابرًا أغــزو المعــاني بُغيتــي الإحســانُ

فالشاعر يرى لحروف اللغة أسرارًا وحين تعــوزه وتتــأبى عليــه معانيها يهديه إليها القرآن الكريم مأوى اللغة ومصدر شرفها، ذلك أن كلًــا منهما يحمل للآخر أسرارًا قد يهدي إليها القصَّاد، ولعــل الشــاعر يكنــي بأسماء الحياة عما تفردت به اللغة العربية معجميًا من كثرة الأسماء بحيث وفائها بجميع المعاني.

المبحث الثالث
التوظيف الشعري .. للفوارق النحوية

من أهم وجوه التفرد النحوي للغة العربية عن اللغات الأخرى هو وجود الجملة الفعلية، حيث تقسيم الجملة إلى اسمية وفعلية في حين أن من لديه أدنى علم باللغة الإنجليزية بل واللغات الأوربية يعلم أن جملتها تأتي اسمية فقط.

وكذلك يأتي تفرد العربية في جانب القواعد حين تضم جميع قواعد اللغات الأخرى وتزيد عليها قواعد كثيرة ودقيقة ربما يكون أشهرها "الإعراب" رفعًا ونصبًا وجرًا، وما يفيده للغة من ثراء ورواء، يقول ابن فارس عن فن الإعراب: "هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولولاه ما ميز فاعل من مفعول، ولا مضاف من منعوت، ولا تعجب من استفهام، ولا صدر من مصدر، ولا نعت من تأكيد"[١]، وإن وجد شيء من ذلك في اللغات الأخرى إلا أنه لا يأتي بهذه الدقة وهذا الاتساع، وغير الإعراب الكثير مما يثبت تميزًا وتفردًا واضحًا للغة العربية من جهة القواعد النحوية.

وقد وعى الشعراء ذلك وصوروه إجمالًا في أشعارهم فخرًا وإنصافًا ودفاعًا عن لغتهم، ومنه قول الشاعر "محمود غنيم"[٢] في قصيدته "ناصر

١- "الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها"- ابن فارس-ت: عمر فاروق-ص٧٥- ط مكتبة المعارف"بيروت"- الأولى ١٤١٤هـ=١٩٩٣م.

٢- محمود غنيم: شاعر مصري ولد بقرية مليج بالمنوفية عام ١٩٠٢م، تخرج من دار العلوم، ومن دواوينه "صرخة في واد" و"في ظلال الثورة" و"رجع الصدى"، وتوفي عام ١٩٧٢م. ["الأعلام"- خير الدين الزركلي-٧/ ١٧٩-ط دار العلم للملايين- الخامسة عشر ٢٠٠٢م]

الفصحى":[1]

هيهاتَ تجمــع يومًــا شــملَنا لغــةٌ ... بــلا قواعــد تحميهــا مــن الخلــل
إني أخاطــبُ ســكانَ الكفــورِ فــلا ... أعي الخطاب ولا القاموس يشرحُ لي
ما وحَّد العربَ كالفصحى فإن وهنت ... فبشِّــر القــومَ بالخــذلان والفشــل

يستنكر الشاعر تلك الدعوات الهدامة ضد اللغة العربية، وكذلك يستنكر ما تتذرع به تلك الدعوات من صعوبة اللغة وعدم صلاحيتها لكل المخاطبين، ويشير إلى تفرد الفصحى بقواعد النحو ودور تلك القواعد في حماية اللغة وحفظ مكانتها، ثم دور اللغة في توحيد الأمة وحفظ هويتها.

وقد جاءت رؤية الشاعر "رمضان عبد الله " أكثر تفصــيلًا لهــذا التفرد النحوي للغة العربية في قصيدته "بغيــة البلغــاء"، يقــول مخاطبًــا الفصحى: [2]

يا زينــةَ الــدنيا ونضــرتَها علــى ... شَفَةِ الوجود رسَــمْتِ خــطَّ تمَــاس
أَلِــفُ الحــروفِ بهيِّــةٌ بكســائِها ... فــتحٌ وكســرٌ ضــمةٌ فــي الــراس
جهلتْ لغاتُ الكونِ "نحــوَ" بهائِهــا ... فمتــونُهم تشــكو مــن الإفــلاس

في أسلوب بلاغي بياني كنائي بديع يكني الشــاعر برســم خــط

١- "الأعمال الكاملة"- محمود غنيم-/٨٢٢-ط دار الغد العربي-١٤١٤ هـ =١٩٩٣م، والأبيات من بحر البسيط.
٢-"في محراب لغة الضاد" -ص٢٨، والأبيات من بحر الكامل.

التماس عن المفارقة بين العربية وغيرها من اللغات وكأنه ترسيم للحدود أسهم في صنعه تفرد الفصحى بفن الإعراب وحركاته على الحروف بين الضم والفتح والكسر، وهو ما تجهل أكثر قواعده اللغات الأخرى، ومن ثم تأتي متونهم يكتنفها اللحن ويعوزها الضبط والنطق الصحيح، وقد عدَّ الشاعر علم "النحو" وفن "الإعراب" سببًا في بهاء العربية وروائها وغناها فضلًا عن كونه سببًا في تفردها ومفارقتها وعزتها بين سائر اللغات.

وربما يكون هذا سببًا في تعجب وتألم الشاعر "محمد مصطفى حمام"[١] لحال أعداء العربية الذين عدوا قواعد اللغة- وهي مصدر عزتها وتفردها- مقصدًا للهجوم عليها ومحاولة النيْل منها، يقول في قصيدته "الشعر ولغة القرآن":[٢]

عَقُّوا التي علَّمتْهُم كلَّ ما عَلِمُوا ... ياويحَ من عقَّ أهلِيه ومن خانا
ياويحَ قومٍ أتوْها من قواعِدِها ... وخدشوا أسسًا منها وأركانا
والنحو والصرف والأسلوب قد برموا ... بها وقد أمعنوا صدًّا وهجرانا

يصور الشاعر مظهرًا للحقائق المقلوبة حين يؤتى الحذرُ من

١- محمد مصطفى حمام: ولد في مدينة فارسكور(محافظة دمياط)، عاش بين مصر والسعودية والكويت، عضو رابطة الأدب الحديث، اشترك في ثورة سعد زغلول خطيبًا وشاعرًا، له عدة دواوين، وتوفي بالكويت عام ١٩٦٤م.[ينظر: "معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين"- ١٣٣٥/٤].

٢- "ديوان حمام"- للشاعر محمد مصطفى حمام- ص١٣٧- ط الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م ، والأبيات من بحر البسيط.

مأمنه، وتؤتى اللغة العربية من أبنائها، ويتذرع أصحاب الدعوات الهدامة ضدها بصعوبة قواعدها نحوًا وصرفًا وأسلوبًا، في حين أنَّ تلك القواعد هي مصدر عزتها وقوتها وتفردها.

وربما يأتي تصوير التفرد النحوي للغة العربية لدى الشاعر "هاشم الرفاعي" ردًا على هذا الوصف الباطل لقواعد اللغة بالصعوبة والتكلف، ذلك أنه يصفها بالمرونة والاتساع إلى حد استيعاب جميع الآراء النحوية على كثرتها، يقول في قصيدته "حول قيود اللغة العربية":[١]

أقسمتُ لم يشك الصغار وإنما ... قد ساءَ مزعوم القيود كبارها
إن المذاهبَ في الشريعةِ جمةٌ ... والفلسفات كما ترى أطوارها
وكذا النحاةُ تباينتْ آراؤهم ... كلٌ أراد طريقةً واختارها

يؤكد الشاعر أنه لا يرى محلًا لتلك المزاعم بوجود قيود على اللغة العربية، فقد بدا اتساعها وانكشفت مرونتها للعيان حين اتسعت للتعبير عن جميع المذاهب الشرعية والفلسفية، ومن قبل اتسعت قواعدها اللغوية لاستيعاب جميع الآراء والمذاهب النحوية على كثرتها وتشعبها واختلافها، وقد عدَّ الشاعر ذلك سببًا لثراء اللغة وروائها.

وفي وصفه الشعري للفصحى جمع الإمام "محمد الخضر حسين"[٢] بين

١- "الأعمال الكاملة"- هاشم الرفاعي- ص٣١٧، والأبيات من بحر الكامل.
٢- الشيخ محمد الخضر حسين: ولد بمدينة "نفطة" بتونس عام ١٨٧٦م، وتخرج من جامعة الزيتونة عام ١٣٠٧هـ، وحصل على العالمية من الأزهر وأصبح من علمائه=

وجهي تفردها النحوي والصوتي في قصيدته "فضل اللغة العربيـــة" حـــين قال:[١]

أتاها العلمُ يرســـفُ فـــي كســـادٍ وخطـــبُ العلـــمِ أن يلقـــى كســـادا
فأودَعَهـــا نفائسَـــهُ وأضـــحى شـــعارُ العلـــمِ إعرابًـــا وضـــادا

فغير خفي هدف الشاعر من جعله "الإعراب" شعارًا للعلم ذلك أنـــه أراد تأكيد كون الإعراب شعارًا لتفرد العربية ومفارقتها، كحرف الضاد وقد غدا صوتًا وحرفًا فريدًا يحلق بها.

وقد برز "رد الأعجاز على الصدور" في البيت الأول ملمحًـــا فنيًـــا واضحًا يسهم في تأكيد معنى كساد العلم في بعده عن اللغة العربية، فقد ردَّ الشاعر آخر كلمات العروض، وهو معنـــى موســـيقا "رد الأعجـــاز علـــى الصدور"[٢]، وغير خفي ما يحدثه كذلك في النص من نمط تـــوقيعي بـــديع وشكل موسيقي مميز.

ويأتي ممن أشار كذلك إلى الإعراب وجهًا نحويًا تتفرد بـــه اللغـــة

=الكبار وتولى مشيخته عام ١٩٥٢م، وتوفي -رحمه الله- عام ١٩٥٨م.[ينظر: "الشيخ محمد الخضر حسين سيرته ومؤلفاته"- د/ محمد بن إبراهيم الحمد- ص٧ وما بعدها- ط دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع- الأولى ١٤٣٥ه=٢٠١٤م].

١- "موسوعة الأعمال الكاملة" -الإمام محمد الخضر حسين- ١٨٢/٨- ط دار النوادر- الأولى ١٤٣١هـ=٢٠١٠م، والبيتان من بحر الوافر.

٢- ينظر: "جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع" -السيد أحمد الهاشمي- ص٣٥٤- ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.

العربية عن غيرها الشاعر "حسن سباق"[١] في قصيدته "أنا الهيفاء مائسة"، وقد بدأها بقوله بلسان الفصحى: [٢]

أنا عِـزٌّ إذا مـا العـزُّ قـد نضَـبَا أنا حُسْنٌ إذا مـا البـدرُ قـد ذهبَـا

ثم يقول:[٣]

وقِـرطٌ زانَ جِيـدَ الكـوْن منسـدلًا عقيقًـا يحضـنُ المرجـانَ والـذَّهبَا
وسِـرٌّ ذاعَ بـالأقلامِ فـي كُتُـبٍ بيانًا سـاحِرَ الصـفحاتِ قـد عُرِبـا

فقد صوَّر الشاعر الفصحى بلسانها مصدرًا لجمال الدنيا وجـوهرًا تتحلى به، وجعل سر جمالها ليس فقط في سحر بيانها وإنما في إعراب ذاك البيان، في إشارة لفن الإعراب أحد مَيْـزات العربيـة، وعنـوان تفردهـا النحوي.

١- حسن حامد سباق: من مواليد مدينة ساقلته بسوهاج، عضو بعدد من الجمعيات والنوادي الأدبية بسوهاج، من مؤلفاته ديوان الشعر"لبيك خيلًا يا حبيبي"، وعدد من الدراسات الأدبية منها: "الصورة الأدبية في آيات الأمثال في القرآن الكريم" و"الطاقة الدلالية عند الشعراء الصوفيين". ["ديوان لبيك خيلًا ياحبيبي" ص٨٢- ط دار المنار للطباعة والنشر ٢٠٠٨م].

٢- المرجع السابق – ص٣٩، والبيت من بحر الوافر.

٣- المرجع نفسه – ص٣٩.

المبحث الرابع
التوظيف الشعري .. للفوارق البنيوية

تميزت اللغة العربية عن غيرها من اللغات بميزات بنيوية (صرفية) منها: التصغير، والممدود، والمقصور، والزيادة، والاشتقاق، وتصريفات الأفعال، والقلب المكاني، والحذف والاختصار، وجموع التكسير، وغيرها من ظواهر صرفية من شأنها اتساع اللغة واستيعابها الكثير من الدلالات.

وإذا كانت النصفة تقتضي القول: إن بعض هذه الظواهر قد يوجد لها أثر في لغات أخرى إلا أن اللغة العربية قد توسعت في ذلك توسعًا يجعل من الصعب بل من المحال على غيرها أن يلحق بها، ذلك أن اللغة العربية جاءت أوسع أخواتها بنية ودلالة، ولا وجه للمقارنة بينها وبين غيرها من حيث غزارة المادة والأبنية. (١)

والحق إن هذه الميزات البنيوية للغة العربية لم ترد بهذا التفصيل في التصوير الشعري لكنها جاءت إجمالًا في الحديث عن توالد ألفاظ اللغة واشتقاقها، وصور الاستعارة وحديث البيان عن عرائسها وبناتها.

ومما بلغ الشهرة في ذلك ما جاء في النص الذائع لـ"حافظ إبراهيم"(٢) "اللغة العربية تنعي حظها بين أهلها" قوله بلسان الفصحى: (١)

١- "فقه اللغة"- د/ علي عبد الواحد وافي- ص١٢٨- ط نهضة مصر للطباعة والتوزيع- الأولى ١٩٩٧م.

٢- حافظ إبراهيم: صنو شوقي في إحياء دولة الشعر، ولد عام ١٨٧٢م لأب مصري وأم تركية، تخرج في مدرسة الحربية، وتألقت شاعريته، واشتهر بحب الوطن، ولقب بشاعر النيل، وتوفي عام ١٩٣٢م. [تراجم شعراء الوطنية في مصر- عبد الرحمن الرافعي- ص٩٥- دار المعارف- دون تاريخ].

رَمَوْني بعقمٍ في الشبابِ وليتني عقمت فلم أجزعْ لقولِ عداتي
ولَدتُ ولمَّا لمْ أجدْ لعرائسي رجالًا وأكفاء وأدتُ بناتي

إلى أن يقول: [٢]

أرى لرجالِ الغربِ عزًا ومنعة وكم عزَّ أقوامٌ بعزِّ لغاتِ
أتوا أهلهم بالمعجزاتِ تفننًا فيا ليتكم تأتونَ بالكلماتِ

فالشاعر حين يبث النبض الإنساني ويصور اللغة العربية امرأة يشير إلى تفردها الصرفي بحديثه عن التوالد ووصفه لمولوداتها بالبنات والعرائس، يعني كلماتها والمشتقات التي هي علامة شباب اللغة وقوتها وحيويتها، ويصور الشاعر اللغة حزينة متألمة تعتب على أبنائها وتتمنى لو لم تلد هذه الكلمات، ولم تتمتع بهذه الحيوية التي لا يستحقها أبناؤها الذين لا يدافعون عنها أمام الأعداء الذين ينكرون بهتانًا حيويتها وقدرتها على التوالد ويرمونها بالضيق والشيخوخة والعجز عن الوفاء بمقاصد الحياة، وفي المقابل يمجد أبناء الغرب لغتهم ويحرصون على عزتها ونمائها لما يعلمون أنها مصدر عزتهم وتوحدهم.

وبذات التعبير بالتوالد والعرائس جاء وصف الشاعر الدكتور "عثمان قدري مكانسي" للتفرد الصرفي للغة العربية في قصيدته "لغة

١- "ديوان حافظ إبراهيم"- ضبطه: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري- ص٢٥٣ - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب- الثالثة ١٩٨٩م، والبيتان من بحر الطويل.

٢- المرجع السابق ص٢٥٣.

الضاد"، يقول:[١]

فهي العرائس لا تبلى على قِدَمِ في كل آن ترى من حسنِها شانا
تهديك كلَّ جديد من ولائدِها كفلقةِ البدرِ، بل فاقته إحسانا

وتشبيه الكلمات أو اشتقاقاتها بالعرائس وإن لم يكن جديدًا إلا أن إسهامه في أداء معنى قوة اللغة وصلاحيتها لكل أوان بات واضحًا، فالشاعر يرى أن اللغة لا يشتق منها مجرد ولائد، وإنما بنات ألفاظ قويات جميلات قادرات على الوفاء بتقدم العصر ومقاصد الأبناء.

وفي ملمح آخر يأتي وصف الشاعر "رمضان عبدالله" للتفرد البنيوي للغة العربية، حيث حديثه عن الاشتقاق بالتجنيس، يقول في قصيدته "اقبليني حارسًا":[٢]

إنسانُ عصريَ، هل يُطوَّرُ باجتثا ثِ ذراعِهِ، سيقانِه كغصونِكْ؟
أو بالحليِّ يُزيَّنُ الجيدُ، المُنى مثل الجناسِ كشامةٍ بجبينكْ

يستنكر الشاعر تلك الذرائع التي يتذرع بها دعاة هدم الفصحى، ويتساءل كيف يكون الهدم أداة للتطوير ومواكبة العصر، ويشير إلى اتساع أبنية العربية بالتجنيس حيث اتفاق اللفظ واختلاف المعنى سمة وميزة

١-ينظر: شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، موقع "أدباء الشام" : ww.adabsham.net والبيتان من بحر البسيط.

٢- "ديوان اقبليني حارسًا"- رمضان عبد الله- ص ٤٥- ط مكتبة الأدهم ٢٠١٦م، والبيتان من بحر الكامل.

للعربية دون غيرها تزينها كما يزين الحليُّ الجيدَ، وهي الميزات التي لأجلها ينبغي الحفاظ على العربية وليس هدمها.

أما الشاعر "يوسف أبو القاسم" فقد اختار المجاز الكنائي أسلوبًا للتعبير عن التفرد البنيوي للعربية، حيث يكني عن الاشتقاق الصرفي لكلمات الفصحى فيطلق عليها: "بنات الألفاظ"، يقول: [1]

الضادُ رمزٌ لم يكنْ في غيرِها وبناتُ ألفاظٍ يَبُحْنَ لشاعرِ
سطَروا بها كلَّ الدواوينِ التي كانتْ حكايا في بديعِ ذخائر

بعد أن قَدَّم الشاعر صوت حرف الضاد رمزًا للتفرد الصوتي للفصحى ذكر ما تتمتع به من توليد الألفاظ واشتقاقها من الأصل الواحد وعدَّ الكلمات المشتقة بناتًا لتلك الألفاظ، في إشارة إلى تفردها الصرفي والبنيوي، وما أسهم من الوفاء بمعاني الشعراء والأدباء، وما أسفر من ذخائر الدواوين وألوان الإبداع.

١- "ديوان بوح القصيد"-يوسف أبو القاسم- ص٣٣، والبيتان من بحر الكامل.

المبحث الخامس
التوظيف الشعري .. للميزات البلاغية

لا يخفى أن بلاغة اللغة العربية وفصاحتها وحسن بيانها من أهم خصائصها، ذلك أن العرب قديمًا عرفوا كثيرًا من معايير البلاغة والفصاحة، وصارت أساسًا وركنًا قامت عليه لغتهم إلى حد أن جاءت معجزة النبي – صلى الله عليه وسلم– وحجته القاطعة تتحداهم في هذه البلاغة والفصاحة، وفي ذلك دلالته الواضحة على قدرتهم العالية على نسج الكلام وحسن السبك، وبلاغة التعبير، وتمييز أقدار الألفاظ وتذوق مراميها، ولعل أكثر ما يدل لذلك تلك المكانة التي وصل إليها الشعر العربي حيث يكون به الاستشهاد، وكذا فن الخطابة، فضلًا عما عرفه العرب آنذاك من فصل الخطاب، وعيوب الكلام، ومواطن الذلل والصواب.

ثم جاء الإسلام بالقرآن الكريم وقد بلغ حد الإعجاز بلاغة وفصاحة داعمًا لما بلغته اللغة العربية ومؤسسًا لقواعدها ومعايير بلاغتها، ومع تطور الزمن وتوالي العصور الإسلامية تحولت البلاغة من مجرد ملاحظات عابرة يدركها العرب بذوقهم الرفيع وفطرتهم النقية وسلامة ألسنتهم إلى مصطلحات علمية وقواعد فنية ومناهج دراسية تحفظ للغة بلاغتها وفصاحتها.

وقد وعى الشعراء هذا التفرد البلاغي للغة العربية وما تم لها من صور البيان التي لم تتوفر لغيرها، ونطقت به أشعارهم إنصافًا للفصحى وزهوًا بها، ومن أكثر ما يدل لذلك قول الشاعر "رمضان عبد الله" في قصيدته "بغية البلغاء" يخاطب الفصحى: [1]

١– "في محراب لغة الضاد" –مجموعة شعرية مشتركة–ص٢٩، والأبيات من بحر الكامل.

قــولي لهــم إنِّــي بشــعري غــادةٌ أختالُ في ثــوبِ القــوافي المَاســي
قولي لهــم ســحْرُ البيــان مزيَّتِــي ضــفَّرْتُهُ فــوق اللّغَــى الأجنــاس
قولي لهم قــبَسُ البــديع منــارَتي بشــعاعِها ينســابُ حســنُ جِناســي
قولي لهم وهــجُ المعــاني شــارَتي أشــهرْتُها فــي حضــرَة الإبــلاس
فأنا التــي فصَّــلتُ أقمشــةَ التفــرّ دِ قِسْــتُها فخــرًا علــى مقياســي
فمن التي في ثوبِهــا نقــشُ الكنــا يةِ، حُلــةُ التشــبيهِ مثــلُ لبَاســي؟
ومن التي احتكــرَتْ فنــونَ بلاغــةٍ وتفــاخرَتْ بكتائــب الحُــرَّاس؟

فقد بدأ الشاعر بلسان الفصحى يفخر بميزاتها الكبرى وفنهــا الأول الشعر العربي، ثم جاء حديثه عن تفردها البلاغي أكثر تفصيلًا حين جعلهــا تزهو بأقسام البلاغة الثلاثة، فإذا سحر البيان مزية تضفره زينة وجمالًــا، وإذا توهج المعاني تبديه شارة وعلامة، وإذا نور البــديع تبديــه منــارة وشعاعًا تنساب منه ألوان فنونها ومحاسنها، وإذا اللغة تصنع مــن ألــوان المفارقة والتفرد أقمشة وثيابًا ترتديها زهوًا وتيهًا، وحماية وضمانًا مطرزة بنقوش البلاغة ومحلاة بخطوط الفن.

وقد بدا واضحًا من حيث الأسلوب تكرار الشاعر تركيب الأمر "قولي لهم" في الأبيات الثلاثة الأولى وما فيه من دلالة إلحاح الفكرة على ذهن الشاعر، وتأكيد معانيها وتنبيه المتلقي لها، وكذلك ما أســهمه فــي ذلــك تكــرار الاستفهام في البيتين الأخيرين فضلًا عما أسهمه من تكثيف القيم الجماليــة ودعم معايشة المتلقي للفكرة وتعميق تفاعله معها.

ويبدو أن أغرم الشاعر بتلك المعاني والتفرد البلاغي للغة العربيــة حتى أورده في قصيدة أخرى له بعنوان "معجزة الفصيح"، يخاطب العربية،

يقول:[١]

وركضتُ تحت شموس ضادك حاملاً خمـــر البـــديع بجعبتـــي الألـــوانُ
وشرعتُ أُشعلُ لفظتـــي وقريحتـــي حتـــى أتتْنـــي دفقـــةٌ وبيـــانُ
أمســـكتُ فرشـــاتي ألـــون لـــوحتي فـــإذا برســـميَ دوحـــة، أغصـــانُ

عدَّ الشاعر قصائده وبيانه أشجارًا وأغصانًا، وعدَّ بلاغة الفصـحى وألوان بديعها أدواته لتثمر هذه الأشجار، وتكتمل صورته التـي يرسـمها بهذه الأدوات، وقد أسند الشاعر للبلاغة وألوانها مهامًا أخرى، فهي تحفـز قريحته وتضئ في ذهنه معانيه وتجري على لسانه ألفاظه ومبانيه، لتتدفق في عالم الصورة والفن أشجارًا وثمارًا، وأبياتًا وقصائد.

وكذلك ممن أورد التفرد البلاغي للعربية فخرًا وتيهًا وزهوًا الشاعر "جميل عبد الرحمن"، في قصيدته "نشيد الضاد"، يقول: [٢]

وتنـــاثرتْ دررُ البيـــانِ لتزدهـــي نســـجًا بـــديعًا رائـــعَ الألـــوانِ
ســـارتْ بلاغـــتُهم تُحـــرّكُ جلمـــدًا وتَصُـــبُّ كـــأسَ السِـــحرِ للظمـــآنِ

إلى أن يقول بلسان الضاد: [٣]

إنـــي أنـــا تـــاجُ البلاغـــةِ شـــامخًا ببقائِـــه فـــي عـــالمِ الإنســـانِ

فقد بدت بلاغة العربية لدى الشاعر من القوة بحيث تحرك الصخر،

١- "ديوان لا تركعي"-رمضان عبدالله - ص٣٥، والبيتان من بحر الكامل.
٢- الأعمال الكاملة -جميل عبد الرحمن- ص١٥٩، والبيتان من بحر الكامل.
٣- المرجع السابق- ص١٦٠.

ومن السحر بحيث تصير خمرًا تروي ظمأ قصَّادها، ومن التوهج والجمال بحيث تتناثر جوهرًا وتنسج عقدًا بديع الألوان، وتاجًا شامخًا باقيًا ببقاء الإنسان.

وكذلك وصف الميزة البلاغية للغة العربية الإمام الشيخ "محمد الخضر حسين" في قصيدته "فضل اللغة العربية"، يقول: [1]

رعى اللهُ الأديبَ يرومُ معنى ... فيسعده البيانُ بما أرادَا
فما أهوى سوى لغةٍ سقاها ... قريشٌ من براعتهم شِهادا
وطوَّقها كتابُ اللهِ مجدًا ... وزاد سنا بلاغتِها اتِّقادا

بدأ الشيخ الأديب ببيان فضل اللغة على الأدباء حين تتسع لتفي بكل معاني أغراضهم، ثم هو يوضح أن غايته في العشق هي ذات اللغة العربية وينفي عن نفسه أن يميل قلبه إلى سواها، فهي اللغة التي منحتها قريش والعرب الأُول حبًا وإخلاصًا وودًا، فمنحتهم بدورها ذوقًا وبراعة وفضلًا، وهي اللغة التي أضاء القرآن الكريم بلاغتها، ورفع شأنها، وزاد عزتها، ومنحها مجدًا ورفعة وتوقدا.

١- "موسوعة الأعمال الكاملة" -الإمام محمد الخضر حسين- ١٨٢/٨- ط دار النوادر- الأولى ١٤٣١هـ=٢٠١٠م، والأبيات من بحر الوافر.

المبحث السادس
التوظيف الشعري .. للميزات الموسيقية

لأبنية الألفاظ وقوالبها في اللغة العربية دلالات فنية وأوزان موسيقية مثل وزن صيغة فاعل ووزن صيغة مفعول وأوزان المبالغة، والكلام العربي شعرًا كان أو نثرًا فنيًا يأتي على نسق موسيقي معين لاسيما الشعر حيث علمي العروض والقافية والبحور الخليلية.

ومن موسيقا اللغة العربية ملاءمة نغمة الكلمة للموضوع فأجواء الغزل والهيام يناسبها همس الحروف ونعومتها وكثرة المدود وإطالتها وحسن توقيع الألفاظ وتركيبها، بينما معان أخرى كالأراجيز يناسبها توالي الحركات وخفتها، وقصر الأوزان ورشاقتها، لما لذلك من أثر في المعنى، وقد بلغت هذه الخواص الموسيقية للغة العربية قمتها في القرآن الكريم حيث مناسبة الحروف والألفاظ والتراكيب للمعاني والموضوعات بصورة بلغت حد الإعجاز.

وحين يصور الشعر ميزات اللغة العربية ووجوه تفردها فلاشك أنه سيتوقف كثيرًا عند ميزاتها الموسيقية، ومن بديع ذلك ما قدَّمه الشاعر "علي الجارم" حين اختار للتعبير عن التفرد الموسيقي وميزات اللغة العربية الموسيقية توظيف إحدى أهم أدوات التصوير وهي "استدعاء الشخصية التراثية الغنائية"، حيث بدأ بائيته الكبرى عن اللغة العربية بقوله: (١)

ماذا طحا بكَ يا صنَّاجةَ الأدبِ ... هلَّا شدوتَ بأمداح ابنة العربِ؟
أطار نومَك أحداثٌ وجمْتَ لها ... فبتَّ تنفخُ بين الهمِّ والوصبِ
واليَعْربيَّةُ أندى ما بعثْتَ به ... شجوًا من الحزنِ أو شدوًا من الطربِ

١-"ديوان علي الجارم" – ص٣٢٧، والأبيات من بحر البسيط.

بطريق استلهام الشخصية الأدبية الموسيقية استطاع "علي الجارم" أن يصل إلى هذه الدرجة العالية من وضوح صورة التفرد الموسيقي للغة العربية، فقد استدعى صورة الشاعر الفحل الأعشى "ميمون بن قيس" أكثر الفحول يعرف بالغناء والطرب، كما أنه استدعاه بلقبه "صناجة العرب" وقد لقب به الأعشى لحسن رنين شعره ولغنائه بالشعر، يقول الدكتور "شوقي ضيف" في ذلك: "كأنما أثَّر في الأعشى استماعه للمغنيات فإذا هو يحيل شعره ألحانًا وأنغامًا خالصة، وهو كثير التنويع في أوزانه يستخدم منها التام والمجزوء، ويحسن هذا الاستخدام إلى أقصى الحدود، إذ كان يقتدر على الإتيان بالألفاظ العذبة والكلمات الرشيقة والقوافي المتمكنة"[١]، ولاشك أنه بهذه الخصائص الموسيقية للأعشى تتم الصورة الموسيقية التي أرادها "علي الجارم" للغة العربية ويحق له هذا الاستلهام.

وقد أكد علي الجارم وصفه الموسيقي للفصحى واستلهامه شخصية الأعشى حين وصفه في البيت الثاني بالألم والأرق حيال ما يصيب الفصحى من محاولات التعدي عليها، فهو يلمح ويشير بهذا البيت إلى بيت الأعشى الذائع: [٢]

أرقتُ وما هذا السُّهادُ المؤرِّق وما بي سقمٌ وما بي معشقُ

فرغم أن البيت أورده الأعشى مادحًا إلا أن الجارم استطاع أن

١-"تاريخ الأدب العربي(العصر الجاهلي)"-د/ شوقي ضيف – ص٣٦٤.

٢-"ديوان الأعشى الكبير- شرح وتعليق: د/ محمد حسين- ص٢١٧- ط المطبعة النموذجية- دون تاريخ، والبيت من بحر الطويل.

ينقل الأرق والألم إلى الأعشى حزنًا وألمًا لحال اللغة وحال الموسيقا في ظلها وظل الدعوات الآثمة ضدها، وقد بدا كذلك ما أدَّاه الاستفهام في الصورة من دلالة فداحة خطب المستفهم عنه وهو معاناة الفصحى وألمها، بينما هي أندى وأرق ماكان يدعو الأعشى للشدو والغناء والطرب وهي المفارقة التي يتألم لها الأعشى والجارم معًا.

وكذلك سار على نهج "علي الجارم" في استلهام الشخصية التراثية تعبيرًا عن التميز الموسيقى للفصحى الشاعر "محمود غنيم"، غير أنه جمع إليه تميزها النحوي وذلك باستلهام الشخصيتين الأولتين في الدلالة الرمزية على هذا التميز، يقول في قصيدته "ناصر الفصحى":[١]

دعوتَ باللغةِ الفصحى إلى اللغة الـ ... فصحى فأيَّدْتَ قولَ الحق بالعملِ
كأنما كان أوصاكَ الخليلُ على ... تراثِهِ أو نمَاك الأسودُ الدؤلي

حين نعلم أن الشاعر يخاطب صديقه وابن فنه الشاعر "عزيز أباظة"[٢] تبريكًا على جائزة، نعلم أن شعر مخاطبه بلغ حدًا كبيرًا في عذوبة وزنه وموسيقاه، وكذا في تمكنه اللغوي إلى حد أنْ يرى الشاعر أنه ينظمه تنفيذًا لوصايا الخليل بن أحمد صاحب علم العروض ورمز موسيقا اللغة

١- "الأعمال الكاملة"- محمود غنيم- ٨٢٢/١، والأبيات من بحر البسيط.
٢-عزيز محمد أباظة: شاعر وكاتب مسرحي، ولد بالزقازيق عام١٨٩٨م ونشأ في القاهرة، تخرج في كلية الحقوق، واتصل صغيرًا كجميع الأسرة الأباظية بكثير من القمم الأدبية، من أشهر دواوينه "أنات حائرة"، وتوفي عام١٩٧٣م.["أعلام الأدب العربي المعاصر"- روبرت كامبل- ١٦٧/١- ط الشركة المتحدة للتوزيع- بيروت ١٩٩٦م].

العربية الأكبر، وأبي الأسود الدؤلي مبتدع علم النحو ومُعَبِّد طريقه.

فهو يرمز بالشخصية الأولى لجمال نظم اللغة وعذوبة موسيقاها، وبالثانية لقوة اللغة واتزان قواعدها، في إطار الدفاع عن العربية والتنبيه لخطورة تلك الدعاوي الآثمة ضدها.

وقد عدَّ الشاعر "رمضان عبد الله" موسيقا الفصحى واحدة من أهم سماتها، وجاء يتغنى بها في قصيدته "معجزة الفصيح"، يقول: (١)

الحرف ناي واللسانُ كمانٌ وجواهر المعنى هي التبيانُ
أسرجت شعريَ ملهبًا ظهر القوا في خلف حُسنك مؤنس الألحانُ

فقد بلغت موسيقا العربية لدى الشاعر حدًا يجعله يرى حروفها ولسان نطقها آلات موسيقية تعزف الألحان العذبة التي تفي بجواهر معاني الأشعار وتبعث الدفء والطرب والأُنْس.

وربما يبدو معنى التفرد الموسيقي أكثر وضوحًا لدى الشاعر ذاته في قصيدته "بغية البلغاء"، وقوله: (٢)

معشوقتي الأحلى على جسرِ المُنَى تختالُ بالنغماتِ بالأطراسِ
أنشودتي الأغلى بهمسِ حروفِها دفءٌ يفُكُّ مغالقَ الأقواسِ

١- "ديوان لا تركعي"- رمضان عبدالله ، والبيتان من بحر الكامل.
٢-"في محراب لغة الضاد"- مجموعة شعرية مشتركة- ص٧٦، والبيتان من بحر الكامل.

فحين يبدي الشاعر أسباب عشقه للغته وكونها الأعزّ والأغلى بين ما يحب ويعشق يقدم أول هذه الأسباب نغماتها وهمس حروفها وألحانها التي تبعث في النفوس الدفء فتفتح مغاليق القلوب، كما أنه يرى اللغة العربية "أنشودة" وهي اللون الشعري الأغنى بجانب الموسيقا والفن.

أما الشاعر "يوسف أبو القاسم" ففي وصفه لموسيقا الفصحى اختار أن يلقي الضوء على أثر تلك الموسيقا على المعنى ومتلقيه، يقول:[١]

بوحُ القصيدةِ قد زكى بلحونِها ودَنَى جناها في سكونِ ضمائرِ
وتناغمتْ كلماتُها وتراقصتْ ليهيمَ في الأعماق وجدُ مشاعري
هاتي لحونَكِ ياحروفي واسكُبي وجعًا بقلبٍ مستهامٍ ثائرِ

يرى الشاعر معاني القصيدة ودلالاتها وقد راقت وزكت بموسيقاها، وكذلك يرى أثر تلك الموسيقا في الكلمات حيث تناغمت وطربت إلى حد الرقص والهيام والوجد، ويرى في ذات الوقت أثر موسيقاها الحزينة حين يناديها ويطلب إليها ألمًا في القلب ووجعًا يلائم حاله وهيامه.

وفي وصفه للتميز الموسيقي للغة العربية اختار الشاعر الدكتور "محمد عبادي"[٢] أن يدعم صورته بفن بديعي هو التورية، يقول عن

١- "ديوان بوح القصيد"-يوسف أبو القاسم- ص٣٣، والأبيات من بحر الكامل.
٢- د/ محمد علي عبادي: من مواليد سوهاج عام١٩٨٧م، دكتوراة في الدراسات التربوية، معلم بالتعليم الثانوي، حصل على جائزة مهرجان إبداع عام ٢٠١٣م، له=

الفصحى في قصيدته "ريم اللغات":[١]

وتموسقت مـــن كـــلِّ لحـــنٍ ســـائغٍ للعلـــــم لمـــــا أقـــــدم العلمـــــاءُ

إلى أن يقول: [٢]

دثَّـــرتُ أشـــواقي وجئتـــك عاشـــقًا وقصـــيدتي حرفـــان: حـــاءٌ بـــاءُ

متفاعلن رغم الجروحِ ومـــا هـــوى أهلـــــي إليـــــه وحـــــالهم إقصـــــاءُ

ففي البيت الأول يرى الشاعر موسيقا العربية وقد ضـــمت جميـــع الألحان والألوان حتى لتتسع للتعبير عن كل العلوم، وفي البيت الثالث بـــدأه الشاعر بلفظة "متفاعلن" ليُوَرِّي بها بين تفاعله مع اللغة ووصفها، وحبـــه لها رغم ما يعانيه من آلام، وبين لفظة "متفاعلن" بمعنى الوزن الموســـيقي المعروف تفعيلة لبحر "الكامل" لاسيما وهو البحر الذي جاءت عليه قصيدته، وهذا هو معنى فن "التورية"[٣]، ولا يخفى ما في هذا التعبير مـــن التلمـــيح للتفرد الموسيقي للفصحى، وكذلك ما فيه من جمال الصورة ووضوحها.

=ديوان "مبتدأ لبكاء آخر". [ينظر: ديوان مبتدأ لبكاء آخر – ص٥ – ط الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠١٦م].

١- "في محراب لغة الضاد"- مجموعة شعرية مشتركة- ص٢٤، والبيت من بحر الكامل.

٢-المرجع السابق ص٢٥.

٣- ينظر: "جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع"- السيد أحمد الهاشمي، ص٣١٠.

وللتعبير عن تميزها تتحدث اللغة العربية عن نفسها لدى الشاعر "حسن سباق"، في قصيدته "أنا الهيفاء مائسة"، تقول: [١]

أنا الهيفا كغصنِ البانِ مائسةٌ أنا الوَطْفَا[٢] وهُدْبى تغزلُ الكُتُبَا
أنا نايٌ وصوتُ الحرفِ يعزفني لُحُونًا تجمعُ الأحزانَ والطرَبَا

إلى أن تقول: [٣]

وصَفْصَافٌ بحوضِ النيلِ يُحْزِنُهُ لسانٌ شذَّ في الألحانِ واضطرَبَا

فبعد أن صورها الشاعر امرأة تزهو بجمال الصورة من هيف القدِّ وجمال الحاجبين والعينين، صورها تزهو بموسيقاها، فأصوات حروفها ألحان وأدوات موسيقية تعزف كل الألوان، حضورها في الأفراح لا يمنع كونها أداة التعبير عن الأحزان.

وبصورة الكناية جاء التعبير عن التميز الموسيقى للغة العربية لدى الشاعر السوري الدكتور "عثمان مكانسي"، حين بدأ قصيدته يصور

١- "ديوان لبيك خيلًا ياحبيبي" ص٨٢، والبيتان من بحر الوافر.
٢- الوطَفُ: كثرة شعر الحاجبين والعينين والأَشفار مع اسْترخاء وطول، وامرأَة وطْفاء إذا كانت كثيرة شعر أَهداب العين. [لسان العرب- ابن منظور- مادة (و-ط-ف)- ٣٥٧/٩].
٣- "ديوان لبيك خيلًا ياحبيبي" ص٨٢.

الفصحى بستانًا يحوي كل الألوان، يقول في قصيدته "لغة الضاد":[١]

قل لي بربك هــل صــادفتَ بســتانًا يحوي من الأُكُــل الفيــاضِ ألوانــا؟

إلى أن قال: [٢]

يهوى النسيمُ ظلال الأنــسِ مائســةً فيه يراقص غصــنَ الحــور هيمانــا
أو العصافيرُ سكرى تنتشــي طربًــا بلحــنِ أنســامها ينســاحُ نشــوانا

فلا يخفى أسلوب الكناية برقص الأغصان هيامًا ونشوة العصــافير طربًا –في بستان اللغة العربية– عن عذوبة موسيقاها ونــداوة أصــوات حروفها، على ما في الصورة من صلة واضحة –في مقصود الشاعر– بين التميز الموسيقي للغة العربية وسحر الطبيعة وجمالها.

ولعل ذات الأسلوب البياني الذي عبَّر به الشاعر "عبد الناصر عبــد المولى"[٣] عن الميزة الموسيقية للفصحى، في قوله من قصيدته "قبس من

١–ينظر: شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، موقع "أدباء الشام":
ww.adabsham.net والبيت من بحر البسيط.

٢–ينظر: المرجع السابق .

٣– عبد الناصر عبد المولى أحمد: من مواليد محافظة سوهاج عام ١٩٧٩م، عضو رابطة الأدب الإسلامي واتحاد كتاب مصر، من دواوينه "دراويش البنفسج" و"دنا فتدلى" و"صرخة في وجه النسيان". [ينظر:"ديوان دنا فتدلى"– ص٨٨– ط دار الأدهم للنشر والتوزيع– الأولى٢٠١٩م].

حروف النور":[١]

قالوا: تقصِّرُ عــن تقــدُّمِ عصــرِنا إن التخلـــفَّ سَـــمتُها ومَـــدَاها
فبكـــى النشـــيدُ بكفهـــا متهجـــدًا وتأوَّهَـــتْ واغرورقـــت عيناهـــا

فالشاعر يكني بالنشيد الباكي في همس وخشوع عن موسيقا اللغة وعذوبتها تتألم لألم الفصحى حين تُرمى بالتخلف والتقصير زورًا وبهتانًا، وقد بدا واضحًا ما أفادته صورة الكناية من وضوح التميز الموسيقى للعربية، فضلًا عما أفادته الصورة الكلية من بلوغ معنى الألم والحزن لتلك الدعاوي الآثمة التي تحاول النَّيْل من الفصحى.

وقد جاء التميز الموسيقي للفصحى أكثر صراحة في وصف الشاعر "محمد مصطفى حمام" في ختام قصيدته "الشعر ولغة القرآن"، يقول: [٢]

ثوبوا إلى الضادِ واجنوا من أزاهرها واستروحوا صورًا منها وألوانا
ما أفصح الضاد تبيانًا وأعذبها جرسًا وأفسحها للعلمِ ميدانا

وهو إذ يدعو إلى الفصحى وجني ثمارها أدبًا وصورًا وفنًا يوضح أسباب دعوته فيبرز ميزاتها، فلفصاحتها صوت حرف الضاد ولاتساعها وكثرة مفرداتها يصورها ميدانًا فسيحًا للعلم، أما عذوبتها وندواها فيذكر موسيقاها وجرس ألفاظها، وحق للشاعر خاصة حين تسهم موسيقا النصوص في الوفاء بمعانيها.

١- ينظر:"ديوان دنا فتدلى ص٦٦، والأبيات من بحر الكامل.
٢-"ديوان حمام"- للشاعر محمد مصطفى حمام- ص١٣٧، والبيتان من بحر البسيط..

الخاتمة

خاتمة

الحمد لله، هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد.

فربما يجب في ظل تقدم الشعوب الغربية ولغاتها تكثيف الدراسات الأدبية والنقدية وفنون القول التي تعلي من شأن الفصحى وتراثها وتبرز ميزاتها ووجوه تفردها، وتحفظ لها قوتها وعذوبتها، وهذا ما قدمته هذه الدراسة التي بدت نتائجها في الآتي:

– بيان قدرة الشعر على التوظيف الإجمالي للميزات الصوتية للفصحى، وبخاصة تميزها بحرف "الضاد" حتى ليكنى به عنها لشدة ما يميزها، فيقال "الضاد" والمعنِيّ اللغة العربية.

– استطاع الشعر أن يسجل على أبناء الأمة غفلتهم عن محاسنها وعن كثير من ألفاظ بعينها وكأن المعجم اللفظي للعربية قد ضاق عليها، وفي المقابل تبقى ألفاظ أخرى وقد اندثرت أو تكاد لعدم الاستعمال.

– يأتي "الترادف" بتعدد الألفاظ للمعنى الواحد هو أكثر ظواهر التصوير الشعري للتفرد المعجمي للغة العربية، رغم تعدد هذه الظواهر بين كثرة المفردات، والتضاد والمشترك اللفظي، وغيرها.

– وكذلك يأتي فن "الإعراب" عنوانًا في التصوير الشعري للتفرد النحوي للغة العربية، ذلك أنه حتى وإن بدا له أثرًا في اللغات الأخرى فإنه لا يكون بهذه الدقة وهذا الاتساع.

– جاء التعبير بالعرائس والبنات أكثر ما يدل على معاني التوالد والاشتقاق لكلمات اللغة العربية وهو المظهر الأكثر ورودًا في الشعر دلالة

على التفرد البنيوي والصرفي للغة الفصحى.

– صوَّر الشعر الميزات البلاغية للغة العربية معان وبيان وبديع، ولكن تبقى الصورة هي أكثر ظواهر الأسلوب دلالة على التفرد البلاغي للفصحى، وقدرة على بلوغ المعاني المرادة لدى أصحاب النصوص.

– بطريق التصريح أو الكناية أو الرمز أو استلهام الشخصية تأتي البحور الخليلية هي أهم الميزات الموسيقية التي يشير إليها الشعراء في رصد التفرد الموسيقي للغة العربية.

وتظل الآمال معقودة بأبناء اللغة العربية أن يعوا مكانتها ويجدّوا السعي في سبيل رفعتها وحمايتها، وإبراز وجه تفردها لما فيها من معنى تفرد الأمة وحفظ هويتها، ويبقى عنوان تفردها الأول هو حفظ الله تعالى لها " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ٩" (١)

وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الباحثة

١- آية (٩)، سورة الحجر.

" فهرس المصادر والمراجع "

- القرآن الكريم.

أولاً : كتب مطبوعة :

١- "الأعلام"- خير الدين الزركلي-ط دار العلم للملايين- الخامسة عام ٢٠٠٢م.

٢- "أعلام الأدب العربي المعاصر"- روبرت كامبل- ط الشركة المتحدة للتوزيع- بيروت ١٩٩٦م.

٣- "أم اللغات دراسة في خصائص اللغة العربية والنهوض بها" – سعيد أحمد البيومي- ط كتب عربية للطبع والنشر- الأولى ١٤٢٣ه= ٢٠٠٢م.

٤-تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)" -د/ شوقي ضيف- ط دار المعارف-القاهرة ٢٠٠٠م.

٥-تراجم شعراء الوطنية في مصر- عبد الرحمن الرافعي - دار المعارف- دون تاريخ.

٦- "التطور النحوي للغة العربية" – برجشتراسر- ترجمة: د/ رمضان عبد التواب- ط مكتبة الخانجي"القاهرة"- الثانية ١٩٩٤م.

٧- "جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع" -السيد أحمد الهاشمي- ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت ١٤١٤ه=١٩٩٤م.

٨- "الشيخ محمد الخضر حسين سيرته ومؤلفاته"- د/ محمد بن إبراهيم الحمد- ط دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع- الأولى ١٤٣٥هـ=٢٠١٤م.

٩- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها"-

ابن فارس–ت: عمر فاروق– ط مكتبة المعارف "بيروت"– الأولى ١٤١٤هـ=١٩٩٣م.

١٠– "فقه اللغة"– د/ علي عبد الواحد وافي – ط نهضة مصر للطباعة والتوزيع– الأولى ١٩٩٧م.

١١– "لسان العرب" –ابن منظور المصري– ط دار المعارف– مصر دون تاريخ.

١٢– "معجم البابطين لشعراء العرب المعاصرين"–ط دار الفكر العربي– الثالثة – دون تاريخ.

١٣– "معجم تراجم الشعراء الكبير"– د/ يحي مراد– ط دار الحديث – القاهرة–٢٠٠٦م.

١٤– "معجم المؤلفين" – عمر رضا كحالة – ط دار بن حزم للطباعة١٩٩٩م.

١٥– النقد الأدبي الحديث"– د/ محمد غنيمي هلال – ط نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠٤م.

ثانياً : دواوين ومجموعات شعرية :

١٦– "الأعمال الكاملة" – جميل عبدالرحمن– ط الهيئة العامة لقصور الثقافة– سبتمبر ٢٠١٤م.

١٧– "الأعمال الكاملة"– محمود غنيم– ط دار الغد العربي– ١٤١٤هـ=١٩٩٣م.

١٨– "الأعمال الكاملة"– هاشم الرفاعي – ط مكتبة الإيمان بالمنصورة– الأولى١٤١٧ه=١٩٩٦م.

١٩– "ديوان الأعشى الكبير"– شرح وتعليق: د/ محمد حسين – ط

المطبعة النموذجية- دون تاريخ.
٢٠- "ديوان اقبليني حارسًا"- رمضان عبد الله- ط مكتبة الأدهم ٢٠١٦م.
٢١- "ديوان بشار بن برد"- شرح: محمد الطاهر ابن عاشور- ط مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة ١٣٨٦ه=١٩٦٦م.
٢٢- "ديوان بوح القصيد" - ط المنار للطبع والتوزيع- الأولى ٢٠١٧م.
٢٣- "ديوان تجاوز الصدى"-عبد الرحيم الماسخ-ط وزارة الثقافة المصرية ٢٠١٣م.
٢٤- "ديوان حافظ إبراهيم"- ضبطه: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري- ط الهيئة المصرية العامة للكتاب- الثالثة ١٩٨٩م
٢٥- "ديوان حمام"- للشاعر محمد مصطفى حمام - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م.
٢٦- "ديوان الخليل"- خليل مطران- ط دار مارون عبود- بيروت ١٩٧٧م.
٢٧- "ديوان دنا فتدلى" - عبد الناصر عبد المولى- ط دار الأدهم للنشر والتوزيع- الأولى٢٠١٩م.
٢٨- "ديوان سيد الكلمات" -محمد فاروق- ط الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠١٦.
٢٩- "ديوان علي الجارم"-ط دار الشروق - الأولى ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.
٣٠- "ديوان لا تركعي"- رمضان عبد الله - ط دار الأدهم االطباعة والتوزيع ٢٠١٥م.
٣١- "ديوان لبيك خيلًا ياحبيبي"- حسن سباق - ط دار المنار للطباعة

والنشر ٢٠٠٨م.
٣٢- "ديوان مبتدأ لبكاء آخر"- محمد عبادي- ط الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠١٦م.
٣٣- "في محراب لغة الضاد" - مجموعة شعرية مشتركة- ط مفكرون الدولية للنشر والتوزيع- الأولى ١٤٤١هـ.
٣٤- "المختار من شعر الخليل"- د/ محمد عناني- ط الهيئة المصرية العامة للكتاب- الثالثة ١٩٩٩م.
٣٥- -"موسوعة الأعمال الكاملة" -الإمام محمد الخضر حسين- ط دار النوادر- الأولى ١٤٣١هـ=٢٠١٠م.

ثالثاً : مواقع شبكة المعلومات الدولية " الانترنت" :

- www.ar.wikipede.org
- موقع "أدباء الشام":ww.adabsham.net